

في مقابلة مع "الحياة الثقافية"

الشاعر اللبناني عباس بيضون: "لن يكون الدمار مجرد موضوع للقصيدة"

حاوره: مهيب البرغوثي

في زمن تتكاثر فيه الحروب وتعدو المدن ركاما، يظل الشعر أحد أشكال المقاومة الرمزية، والسؤال المفتوح عن معنى الإنسان في مواجهة الخراب. ويعد الشاعر اللبناني عباس بيضون من أبرز الأصوات الشعرية العربية التي انشغلت بعلاقة الشعر بالكارثة، وبقدرة اللغة على ملامسة الألم الإنساني دون أن تتحول إلى مجرد وصفٍ للدمار. في هذه المقابلة مع "الحياة الثقافية"، يتحدث بيضون عن الشعر والخراب، وعن فلسطين بوصفها جرحا إنسانيا وتاريخيا، وعن دور القصيدة في حفظ الذاكرة ومسألة العنف، في زمن تتعرض فيه القيم الإنسانية لأقصى الاختبارات.

*** في الوقت الذي تدمر فيه المدن وتمحي الذاكرة تحت الأنقاض، هل لا يزال الشعر قادرا على إنقاذ شيء من الإنسان؟**

لا أعرف متى كان الشعر قادرا على الإنقاذ بل متى كان هذا جزءا من طموحه. لست أنفي أي رسالة للشعر. ذلك وحده يعود للشاعر، هنا ليس الشعراء واحدا، كل منهم له مطالبه من الشعر، وكل منهم يطوع نصه لهذا أو يفعل ما يراه من طبيعته، أو إيقاعه أو روحه. مع ذلك لا أظن أن للشعر قدرة أن ينقذ، ليس له سوى اللغة ومهمته هنا دائمة، ان فعله في اللغة هو دائما تحويل وكشف واكتناه واسترجاع. لا أعرف إذا كان ذلك إنقاذا، خاصة حين نتكلم عن دمار وامحاء.

الشعر يكون غالبا في جملة ما يمحي. أن نفاذ الدمار إليه قد يكون حقيقيا، قديكون في جملة ما يسقط أو ينهار. هو على الأقل يسعى لأن يجد في اللغة موازيا للدمار والكارثة. الشعر لا ينجو من الهبوط، إنه لا يسقط فقط بل يتكرر سقوطه الخاص، إنه



المتواصلة على لغة القصيدة وصورتها وإيقاعها؟

في أعلاه وجدت نفسي، بدون انتباه، على وشك الجواب عن السؤال الثاني، بل تراني أعدته ولو بألفاظ ثانية. بالطبع لن تنجو اللغة ولن ينجو الشعر من هذا الامتحان الكارثي. لن يكون الدمار مجرد موضوع للقصيدة، بل لن يكون مجرد موضوع عليه القصيدة، لن يكون غرضا بحتا، الدمار قد يكون وراء كل شيء، قد يكون المرجع والمبتدأ، أي أنه يغدو هو الشعر، هو اللغة، هو العالم، الدمار هو الآن كل إرثنا، كل ما يصل إلينا، لا بد أن العصف يحيق بدنينا كلها، إنه ما يحيق بالبشر والمباني والاماكن، لكنه أيضا يقع في وجودنا كله، في كل ما لنا. إنه أيضا في تاريخنا وفي حاضرنا وفي الاجتماع والسياسة، والطبع يقع في اللغة والثقافة والفن بكليته. الشعر سيكون هذا

يجره إلى الكلام ويخترع له كلامه، فيه أو يجد موازيا له.

في الحقيقة قد يكون طموحه أن يكون، هو نفسه، هذا السقوط وان يكون نشيد الكارثة وصوتها أو من أصواتها. عندئذ لا أفهم كيف يمكن الكلام عن إنقاذ. المطلوب أكثر من ذلك أن يكون الشعر شهادة، أن يكون هو الآخر محطما ومخوقا وصارخا. ان يجد لغة للحطام، لغة هي الحطام في مكان آخر، هي رجع الكارثة، أو على الأقل هي الكارثة في اللغة. لن تكون هذه استظهارا فحسب للدمار، بل إعادة خلقه، أو على الأقل استخراجه من طبقات اللغة من تاريخها واستعدادها وحقيقتها ولحظتها.

*** الحرب لا تقتل البشر وحدهم بل تغير اللغة أيضا. كيف ترى أثر الحروب**

امتحانه أيضا، سيكون أمامه أن يستقبل ذلك كله في داخله. لن تعوزنا الأمثلة، الشعر العربي بعد وأثناء الحرب العالمية، والفن كله يشهدان على ذلك. لن نستطيع أن نغفله في مراجعتنا للآداب والفن والثقافة في العالم العربي. أما كيف حدث ذلك، وما معاييرها ونماذجها، فهذا موضوع آخر.

*** كيف يستطيع الشاعر أن يكتب عن الدمار من دون أن يقع في فخ البلاغة أو استثمار الألم، وأن يبقى وبقيا للضحايا؟**

هذا سؤال عربي بحت، فخ البلاغة واستثمار الألم هما مزلقان انتهت إليهما تجارب في شعرنا. قد نجد تحليلا لذلك، نجده في تراثنا وفي ثقافتنا لكنهما ليسا وحدهما فهناك مقابلهما تجارب مختلفة، بل مضادة. نقدر أن نجد مصادر ذلك وسياقاته لكن هذا يضعنا فورا أمام الحداثة في تجلياتها العربية. هذه أسئلة الأدب والثقافة العربيين، وهي أسئلة حاضرة وفاعلة، من المهم الخوض فيها فهي من حدودنا الماثلة.

*** بعد كل هذا الخراب والدمار الذي أصاب المدن العربية، ما الذي تخشاه أكثر: سقوط الحجر، أم انهيار المخيلة التي كانت قادرة على تخيل مدينة أجمل ومستقبل مختلف؟**

لا أفهم بسهولة الحديث عن مدينة أجمل، ولا أظن أن هذه المدينة الأجمل هي غرض الشعر أو الفن. أظن أدب العصر رواية أو شعرا، لا يعينان بها، بل هما، إذا عدنا إلى الفكر أو النقد، معنيان أكثر بانهارها وتهافتها. لسنا بحاجة إلى أسماء لكن المدينة الأجمل كانت فقط دعوى الأنظمة التوتاليرية. الواقعة الاشتراكية والأدب النازي هما المثلان، لكن عداهما نجد اللعنة والخيبة والوجود.

ما زال الغبار عالقا بي



أريد الاعتناق"

وبعيدا عن هذا، هناك ملاحظة أو ربما توضيح، صحيح أن فعل الكتابة إحدى مهامه التوثيق وإبراز الحقيقة ورسدها في طيات التاريخ، ولكن هناك أمر مهم وحساس بالنسبة لنا كشعراء: فنحن نكتب الشعر؛ لأنه ملاذنا الوحيد الذي نحتمي به من خلال جدار اللغة؛ ونخبئ ارتجافنا وقلقنا فيه، ولأنه هو وحده من استطاع أن يحمل حزننا دون شرط أو قيد، لذلك نحن مدينون له بالكثير.

شاعر من فلسطين / غزة

ساعات... وقت طويل بعدها، ومن وسط المتسلقين يظهر صديق تائه يا خريستو: أقول له اهذأ، انهب الى النوم أنت مقتول من مده. يا رينولا: يقول لي بحزن شديد اهذأ... انهب وأستريح أنت ميت من مده بالرصاص والمخدرات. وفي حالة نهول تمدت على مرر المشرحة أراقب جسدي يقسمه التلاميذ في تجربة إلى قطع دائرية رقيقة ودمي الذي لا لون له يغسلونه في السطول متلفين على جرع عاتهم وبعروقههم يغلفون الساحات بأشرطة الموت ولخضوا وجهي بدهان ملون أظفاري وعيونتي وأذني بأسود مخضر الكسحالي خدودي بالقرمزي كبيض الفصح ألفت دورا أصبحت ممثلة.

على الانفلات من تلك الحالة التي تقوضنا، لم نعد قادرين على ممارسة الإبداع والتحرر من تلك الأغلال التي تخنق رقابنا؛ فطلت نصوصنا بلقها غبار الحرب ويعبق في أركانها بل ويسيطر عليها، وهذا تحديدا ما قصده بعبارة " ما زال الغبار عالقا بي" فكتبت في هذا المعنى:

"ما زال الغبار عالقا بي
يخفق رثتي المتقويتين
يمتعها من استنشاق الحياة
ورائحة العطر
على جسد حبيبتي.
ما زال الغبار يلف قصائدي
كأفعى حول فريستها
ما زال يعرقل سيرها نحو الخلاص
يزرع الشوك في طريقها
فيدمي قدمها الحافيتان.
يا إله الشعر
رحمك
رحمك

الكوارث وأثرها على الحياة المعيشة : فهذه مسؤوليتنا ككتاب ومثقفين تجاه المكان الذي نعيش به، حتى ولو كانت هذه المسؤولية بدافع إنساني محض، ولكننا وفي ذات الوقت لنا أيضا اهتمامات إنسانية وأدبية أخرى ومواضيع تأملية نحب أن نكتب فيها وتبدع في إنتاجها، ولا يمكننا أن نغفل عنها، فكما نكتب عن الحرب والموت والفقد والحزن، نريد أن نكتب أيضا عن الحب والغزل والفلسفة والتصوف وغيرها من المواضيع التي تتعلق بإنسانيتنا التي يحاول العالم تجريدنا منها وعدم تقبلنا إلا دونها؛ فلم يعد يرانا سوى بثوب الضحية الباكية التي لا تكتب إلا عن موتها وراثتها، وهذا لعمرى قد أثقل كاهلنا وجعلنا نحن أنفسنا لا نتقبل من ذواتنا سوى الكتابة عن الحرب؛ فكأننا لم نخلق إلا للبيكاه والموت. وهذا الأمر ظل مستمرا حتى بعد أن هذأت الحرب، بقيت مخيلتنا لا تقوى

ترجمة: كارول صنصور
كارينا غوغو، شاعرة ومثلة ومؤلفة يونانية عاشت ما بين 1993-1940 عرفت بكتاباتها الثورية وأفكارها الراديكالية، حيث انعكست هويتها السياسية الاناركية في أغلب قصائدها. لم تترجم أعمالها بشكل واسع إلى لغات غير الإنجليزية عام 1983 على يد جاك هيرشمان، وإلى التركية عام 2018 من قبل المؤلف ماهر ارغون، على الرغم من القيمة الفنية والأدبية لأعمالها، والتي تعتبر تاريخا لحقبة سياسية وأدبية حرجة. انتحرت غوغو عام 1993 بعد سنوات عديدة من الإحباط والإيمان. ديوان "شهر العنب المثلج" يأتي ضمن مشروع قراءة وترجمة أعمال الشاعرة اليونانية كارينا غوغو بلغتها الأصلية من قبل الشاعرة الفلسطينية كارول صنصور.
يبتي بحجم ذراعي ابنتي الممتدين أربع سنوات بلا ماوى.
حافية ومريضة وباردة وأينما التفت، خل وهيروين ومرارة. وأتمحل حتى لا يحزن الأخرى.
ويأتي، وعلى ركيتي أفق أرضا وأصبح كرة من طين أندرج داخلي وعلى نفس من روجي التي ما زالت تنع أنكى

شهر العنب المثلج

وأبكي ماء، ماء كثيرا.
وقد كنت شجرة وكسرت، كسروا أغصاني، فقد كانت ملجأ للأطفال الضائعين حيث كانوا يلعبون لعبة الشنق... مجاز ولم يبق لي ماء لكثرة ما بكيت نشفت، وأصبحت حورية ذات قشور وأصبحوا يخافون مني. وعندما فتحت عيني كانت جنبي، وحولي، وفي كل مكان تطفو عليها زهور صغيرة عتيقة والسماء معتمة وفيها غيمتان غريبتان لا تتحركان ولكن تركضان وأنا بين لصين مثقوبة أجسادهما مصلوبة في العن. وهذا عدل فقد تحديت الحياة بالشغف وبشكل مضاعف، لم أبدأ احترامها فقد عرفت ناموسهم تدرت على النظر بعيدا ووقفت من كانوا جوارى لا تقل إنك تحبيني ما كنت لتسمح أن أصبح أوراق شجر تطفو على نهر ناشف والأن أنف الثمن بالخزي والعمى بلا كلب